1

ليس أثمن من انفتاح نافذة جديدة ،خاصة هنا، على الدنيا.. على الحرية.
ما الدنيا -أصلاً- إلّا قدر ما نملك من حرية "ربما نتفق كلّ العمر، نثقب ثغرة".
إشكالنا المعقّد هنا، أصله، ثخانة الحيطان، ولا قابليتها للانخراق
صحيحٌ أن النافذة، أحادية الوجهة، لم تزل
إلا أنها أوّل الخطى (أقول لروحي، وامنياتها)
مربكٌ أن ينظر إليك، ولا تقدر على النظر. مربكٌ جداً
لكن احتمال أن تُرى، يعني، أهمّ ما يعني، أنك حيّ، وقادر.. رغم كل شيء، وهذا ينسف مراد السجن والسجان (ما أشبهها جموداً وقساوة وعداءاً للحياة!)
اسمحوا لي، إذاً أن أتنفس، معكم، هذه المساحة، تنفساً مجرّداً، دون غرض أو غاية
كما أدخن سيجارة في شرفة بيتي (الذي هدّمه الغياب)
كما أقبّل حبيبتي (أتلفّت الآن فلا أجدها، رحلت هي الأخرى؟)
أو -حتى- كما أصلي (نافلة اشتياق، لا فريضة انسياق)
فقط: أغمض عينيّ، أفرد جناحيّ.. وأستنشق هذا البراح على مهل.
وبعدها-ربّما-أتعلم على يدكم النطق والكتابة من جديد
فمنعك عن كلّ شيء أنت مفطور على ممارسته أصلاً، لسنين طوال، يحيلك لمبتدا الأشياء في بكارتها الأولى ...
لا عندك الا ما ستتعلّمه، أو سيعلّمك الظرف إياه قسرًا.
"تاتا خطي العتبة، تاتا واحدة واحدة"
دعونا سويًا نتهجأ الحياة (التي لا تشبه غيرها)
حتى يحين موعد الحرية.

2

"أحّا؛ هو أنتو فاكرين نفسكم في النادي؟"
استنكارٌ في محله تماماً
المشهد مناقضٌ لما وجد المكان والشخص لأجله
سجنٌ وسجان، وكآبة
لا ألوان (فقط كلاحة الأسمنت وصدأ الحديد،ناهيك عن بقع الوسخ المتراكم دهراً فدهر)
الجدران قابضة، تخنق من حشر بينها-قسراً-بتوحش لا مفر منه (وهل خلقت الجدران إلا لتخنق؟)
وبياض "البدلة الميري" لا يشبه بياض الصفو، أو الطمأنينة في شيء
لن يذكرك بالسحب، بالحليب، أو حتى بالأرانب (في قريتك البعيدة)
أبيض اللالون هو، أبيض اللا معنى
محايد، مائع، وباهت
هو لبياض الكفن أقرب. لولا أنّ الكفن انتقال ليقين، وذلك انتظار في شك
لولا أن الكفن يوصلك لملائكة-أو حتى زبانية، ينفّذون أمر الحق عدلاً أو رحمة
أما ذلك فيسلمك لمن ينفّذون أوامر طاغية، لا رحمة فيها، ولا-حتى-عدل
مشهد كئيب. خانق. خاصة لو أضفت إليه وجوهاً أزاغ الظلم أبصارها، وهدّلت التجربة ملامحها، فشيّبتها، في عزّ الشباب (كانوا حتى وقتٍ قريب: الورد اللي فتّح في جناين مصر)

هذا ما اعتاده في كلّ مرور صباحي. إلّا اليوم، صُعق السجان لمشهد الزينة التي ملأت الحوش ألواناً وبهجة
صحيح أنه شهر رمضان، إلا أننا في سجن: كلّ شيء ممنوع، كلّ شيء مميت.
فكيف عبرت الحياة غلظة الجدران، غافلت الحرّاس وتفجّرت هنا على هذا النحو؟
كيف صنعناها؟ ومتى؟ كان السؤال
كيف لم نزل قادرين على المقاومة ولو تحايلاً كانت الصدمة.
أما نحن: فمن حقنا أن نضحك، من أغوط نقطة في القلب، على انتصارنا المتواضع ذاك والذي لم يكلفنا سوى أمتار خيط، قطع قماش وأكياس بلاستيكية ... وورق، ورغبة صادقة في الفرح.
و رمضان كريم.

3

للهزيمة ملامحها

تنطبع على وجوه المنهزمين فيتماثلون "كأنهم نبت رحمٍ واحد، ولو فصلت بينهم فصول التاريخ وأميال الجغرافيا."

كان الطابور مهيناً، جارحاً. (في أهون الصياغات)

عراة (من كل حماية)، منكسرين (كان الأمل يسندهم)، شيّبتهم الخسارة (عندما تخسر حلم العمر.. تخسر العمر كله ولو كنت شاباً في العشرين)

يساراً (كأن اليسار قدرنا حتى في المشفى)، أمام مكتب يجلس خلفه الطبيب/الضابط

طابورٌ طويل، كنت على رأسه، ومن خلفي الرفاق

الكلّ من شباب الثورة. الكلّ أبناء الميدان. والكل مرضى نفسيون (مع سبق الإصرار)

لو رأيت النظرة الجماعية للأرض (أيّ قيد حقير يشدّ لتحت تلك الأعين التي ما تطلعت الّا للسماء؟) ،هرباً من أعين الرفقاء-ربما أو من الاعتراف للنفس بحقيقة الواقع الجديد.

لو رأيت أثر الابتسامة القديمة، وقد حلّت مكانها كآبة قاتمة غويطة، حفرت خطوطها على الوجوه، كأنّها ما عرفت إلا الحزن (لو رأيت ضحكات النصر الخادع/الفائت لمّا صدقت أنهم..هم)

أهو أثر انسحاق الصبح تحت أقدام ظلمة الأمس الذي ظننّاه غار واندحر؟

أم هي صور الصاعدين من الرفاق، وذكرياتنا معهم. نسوها لنكتوي بها من بعدهم، فلا نحن صاحبناهم وصعدنا بشرف، ولا قدرنا على النسيان، ولو بوقاحة؟

لعلّه اكتشاف أن: "الحلم خوّان، وأن الله لا يعبأ بالأمانيّ الصغيرة للفراش"*.

......

نبعد عن الميدان ألف خيبة، وتسع سنين، فما الذي جلب رائحة قنابل الغاز، ودويّ الرصاص، وصرخات المغدورين إلي هنا؟

هنا حقل التذكّر. والتذكّر لعنة الذاكرين (ونصف طريقهم للانتصار)

وهنا وحل التشيُّء والتشيُّء هاوية الانسان ومنحدر سقوطه.

لا كرامة ولا حقوق. والطابور كله ممن واجهوا الموت لينتزعوا الحق والكرامة.

إذاً: وجودهم هنا (في السجن وفي الطابور) بديهيّ، طالما الحلم استحال والمنى حرن.

مرضى بفقد الحرية (هذه أعراض فقدها وستزول بزوال القيد)

مصابون بانتزاع الصبح من حبات عيونهم (خلقوه وحرموا من رؤيته) فغاب عن الكل.

منهكون بالأمل الثقيل/البخيل. المخادع

لكنهم، رغم كل شيء، مازالوا هنا موجودون، ولو في هامش ضيّق/خانق.

واقفون على وهنهم المؤقّت/الزائل.

في نفوسهم طيف ايمان بقادم متلكئ. لم يفقدوه بعد.

تتردد في آذانهم وعود الله بالنصر، وهتافات الرفاق للحرية.

.. هؤلاء هم الغدّ

ينازع ليكون، ويُنازعُ لينسحق

ولا غيره سيكون في المنتهي

مهما وهنت بواكيره، وشحبت بداياته..

لو صبرنا.

*من قصيدة للكاتب.

4

تستسهل الحكم على الآخر.

لأن "اللي ع البرّ عوّام"

إلى أن يجبرك الظرف على التجربة

"اسجنوهم". تقول

يحبسك "كورونا" في بيتك، وسط أهلك، لبضع ساعات في عدّة أشهر، فتدرك فداحة ما كنت تطلبه لغيرك. كل الوقت، بكل العمر.

"اقتلوهم". تقول

تفقد حبيباً، ولو في حادث، أو بطلقة طائشة

تحرم قلبك لوعة الانتزاع القدريّ
فتعيد النظر، لكن بعد أن تفقد فرصتك الشريفة الأولى
إذ "لا فضل لمكافئ"
لكنها التجربة، على قساوتها، تزيل الغشاوة، لترى
كان استعلاءاً، أو إسراف مظنّة الخير بالنفس، خاصة في مساحات الاختلاف
(ثقافة-سلوكاً-رأياً.... أو-حتى-اعتقاداً)
وكلما كنت (حافظ مش فاهم)، استفلحت الكارثة
-لأنك غارق في الوحل، حتى أذنيك، لن يريحك إلا أن يستوحل الكلّ، حتى لا تبصق على وجهك أمام المرآة كلما طالعته.
-لأنك مغرور/أعمى: إذا ثبت، ولو زيفاً، خطأ كلّ "آخر"، فهذه فرصتك لتدعي أنك على (الصواب). ولن يراجعك أحد.
-لأنك أجبن من اتخاذ موقف: لو اعترفت لي بحقي في الاختلاف، سيتوجب عليك الدفاع عن حقي في ممارسة هذا الاختلاف، إذاً: الأسهل أن تجرّمني وما أقول/أفعل، كي لا يلسعك ضميرك وأنت تراني أُسحق.
-أو لتدفع الشبهة عن نفسك: إذا دافعت عن حقوق ملحد، سيقولون مثله، ولو طالبت بالعدالة لمتهم بجريمة، سترمى بمثلها. إذاً الصمت أسلم، كي لا توصم أنت أيضاً....
وهكذا، تسلم الأخرين، واحداً فواحد، تحريضاً أو صمتاً، الى المهلكة، حتى تلحق بهم، بعد أن يخرس الجميع أو يفنوا.
لأن المهلكة التي سبق وأسلمتهم لها لا تفنى ولا تشبع، ولا تحفظ الجميل -حتى للمتواطئين.

5

على مقربةٍ، لا أبعد منها
يقف الآن واحدٌ من الأهل، يحمل طعاماً ودواءاً،لا يعرف لو سيصل
لكنه يقف، منذ ساعات، في طابور، بانتظار أن يسلمه للشرطي، على أمل.
الزيارات ممنوعة منذ أشهر، لا يعرف أهلنا إن كنا بخير. لا يعرفون إن كنا أحياء أصلا؟
ولا وسيلة لطمأنتهم، أو الاطمئنان عليهم، إذ لا هواتف، لا رسائل، ولا شيء مطلقا
(وصول الطعام وسيلة وحيدة لمعرفة أن أحداً تخصه بالخارج على قيد الحياة)
لو ضبطت متلبسا بمحاولة تواصل، فالعقوبة رادعة، قاسية، ولا إنسانية مطلقا
رغم أن الجريمة الحقيقية، هي منعك أنت عن الاتصال
لكن الدولة تحارب الإرهاب والكورونا، ولا وقت للانشغال بتفاهات كالمسجونين وحقوقهم
(إذا كان أحدا لم يهتم بوجودنا في السجن-أصلا،كيف سيهتم بتفاصيل حياتنا فيه؟)
يتجلّى للرائي-الآن-إصرار جمعي على أنّ وجودنا هنا، رغم تلفيق التهم التي أُدخلنا بها، مقدمٌ على كل شيء، بم في ذلك سلامتنا. وحيواتنا

الوطن الذي ثرنا لخلقه
يقدم الحياة على كل شيء، حتى على العدالة
فما بالك ولا عدالة مطلقا في وجودنا هنا؟"

وصدقني/صدقيني: الأحرف التي ألملمها الآن حرفاً حرفاً لأقول، عاجزة تماماً عن وصف شعور "إنسان "يتصور كل ليلة، أفراد عائلته بين الضحايا الجدد
لا يراهم أرقاماً مجردة في إحصاء حكومي، بل وجوه، حكايات، وحيوات
ولا سبيل لخبرٍ يطفئ لوعته، أو حتى يرمّد نفسه بعد احتراق أسى
لن أصف لك-عجزاً وجبناً-ما تفعله بالمرء مجرّد خاطرة فقد حبيب دون وداعٍ أخير، قبلة أخيرة على الجبين، اعتذار أخير على حماقة، أو حتى دمعة أخيرة تحكي كم أوجعنا صعوده.
فما بالك وأنت هنا لا تعرف أيهم صعد؟ وهل صعد أصلا؟
هل ستتسلم جثمانه لتدفنه؟؟
و-قطعاً- لا تعرف متى سينتهي الكابوس ؟
أما الجدران التي تمنعنا عن الأهل، الأحبة، الحرية، والحياة
فقط ستسمح، بكل خسه، للموت وحده أن يعبر
لأنهما صنوان
ولا عليك، هنا، غير الانتظار.
***
"إلهي: إذا تتودد لمن يؤذيك فكيف لا تتودد لمن يؤذى فيك؟".

غُلّقت -من دوننا- الميادين
وانفضّت جمهرة المتفرجين وانفعاليو التواجد
"هم "أدركوا الساحة مبكراً
حاولوا ومازالوا الانفراد بها. بأي ثمن
و"نحن "جمدنا على عتب ميداننا القديم، فلا نحن حفظناه، ولا أدركنا جديد الصراع
تخطّتنا المعركة شيئاً فشيئاً، وتشكّلت على جثثنا، حكاية زائفة، أزاحت من أذهان الشهود كل مروية أخرى
و"تربعت "، وحدها في أدمغة المحدثين
أما روايتنا
تلك التي حدثت. تلك التي من لحم ودم. ووجع
تلاشت رويداً،كأنها ما كانت
لم تزل رصاصات غدرهم في أجسادنا فكيف أصبحنا القتلة؟
أغلقنا سفارة العدو ووهبوه كل شيء) أرضا وعرضا (فمن الخائن؟
"التاريخ ضمن الغنايم؛ بيكتبه الكسبان"،صحيح
لكن تاريخا آخر، لن ينبت في الظلّ هذه المرة. سيبقى قادراً على الصمود، قادراً على المقاومة، وقادراًعلى الخلود أبدا.
لن يلقّن في حصص الدرس
لكننا سنعيده على أطفالنا، حتى يحفظوه
لن تذيع فصوله شاشاتهم
لكنه سيحكى) فماً لأذن (، وسيُتناقل، كوصية شهيد، على كل شاشة في كل يد
لن تنتج الأجهزة-إياها-دراما أبطالها أبطاله
لكننا سنشم صورهم على الصدور، ونحفرها على الجدران
....
لم يفت قرن لتفنى حكايتنا مع أصحابها ومجايليهم
لم يفت شيء لنكتفي بالصدمة و.."يا ولاد الكلب" التي نتبع بها كل عبثٍ جديد بالقصة
لم تزل ألسنتنا في أفواهنا، أقلامنا بأيدينا، ولوحات المفاتيح أمامنا
هذه أسلحة اللحظة
نعيد السرد. نحكي الحكاية. ننتصر على النسيان؛ لننتصر عليهم
...
تاريخنا هامش صدق
لن يبتلعه زيف المتن الكذوب
هذه معركتنا، هذا التزامنا.

7

كعذراء، بكارتها ميزتها الوحيدة، في عيون المشترين الأغنياء/الأثرياء/العجزة (ولاد الوسخة)
وما الدنيا إلّا سوق كبير عند هؤلاء
سيفعلون أيّ شيء للظفر بها
يغرونها وعزوتها ابتداءً بالمال ، وما أحوجهم اليه!
يضغطون عليهم بعدها شيئاً فشيأ
ثم يورّطونهم ليرضخوا
سيتواطأ المحيطون غالباً؛ لمصلحة أو لأن التواطؤ يغويهم
ولا مانع قبل النهاية من سحق عزوتها دونها
ستؤخذ غصباً لو لم تقبل الصفقة
أو سيُجهزون عليها تماماً لحظة القنوط من إسلامها
يخنقها الحصار... تخشى أن تُسلم
فيهديها الله أو يوسوس لها الشيطان (صدقوني لا أعرف) لتنفضّ بكارتها مصدر شقائها بيدها
لتفقد نفسها مزيتها في أعينهم الشرهة
- لتنفي كل إمكانية لتسليعها

- لتبقى على إنسانها الذي لا يعنى به الآخرون
كذلك نحن حرفيا (لا تُسيء الظن، لا أقصد البكارة)
في اللحظة التي ندرك فيها أن الذاكرة هي أثمن ما فينا
وأن المساومة والصراع كله عليها
أنها مفتاح حريتنا كما كانت قيد سجننا
(تتذكر: يعني أن تدين المجرم الحقيقي
تكرّم البطل الحقيقي،
تتذكّر يعني أن تنتصر الحقيقة..
وآه لو تعرف المليارات التي أنفقت والأكاذيب التي خلّقت والصدور التي خرّقت لتموت هذه الحقيقة)
يريدون ذاكرتك كلها، ليتخلصوا منها بمعرفتهم، او ليستخدموها بمعرفتهم أيضاً.
ساعتها يا مسكين ؛
إما أن تقطع الطريق على نفسك (الأمّارة بالسوء) وعليهم
وتفقد نفسك بكارتك، أقصد ذاكرتك بيدك
يمكن أن تدمن، تسكر، تجامع
يمكنك حشوها – قسراً، بروايات أخرى، مصنفات أخرى، وتعبئتها حتى آخرها ليسّاقط منها القديم / المميت
أو- حتى - يمكنك الانتحار،تخلصاً من الوعاء وما وعى.
هذه حلول سهلة، متاحة، قصيرة الطرق
تليق بالضعفاء، العاديين، الانهزاميين (احترافاً)
أما أبناء الحلم.. آباء المستحيل... خالقوا الغد على مرادهم للغد
أمامهم – تورّطًا- تصرّف وحيد
غير آمن، مريح ،ولا مربح
هو غالباً قاتل ومهلك، لكن وحده يليق
لأنّ الحكاية التي لديهم... مستحقة
حكايتهم/ ذاكرتهم، هي شرفهم حرفياً
سيتشبثون بكل تفصيله في حدث
سيستعيدون كل وجه، كل دمعة، ابتسامة، وكل صرخة
سيعيدون السرد، كل ليلة، على أنفسهم وعلى الكل...
حتى تنتصر الحقيقة بهم..
وإن لم ينتصروا.

8

أن تكون راوياً
يعني أن تمتلك مساحات للالتفاف، المراوغة، اللعب بالصياغات
يعني أن تمتلك الصمت، خياراً أخيراً
سترضخك الحسابات
تتخطّف أمانتك اعتبارات السلامة، والموضوعية
سيحيلك (حياد الراوي) مسخاً دميماً
ستصبح مسرحياً بامتياز:
تفكّر قبل كل فصل، فيما ينتظره الجمهور
وللجمهور غوايته، وهواه
حين تجرّب"السوكسيه" مرّة، ستندهك ندّاهته
ولن تفرّط في انتشاءته ثانية، ولو على حساب النصّ
... ولو على حساب الحقيقة.
أما ان تكون أنت "الرواية"
أن تنحاز لكنهك، لما أنت عليه
أن يختزل اسمك/صورتك، الحكاية كاملة

أن يُكتفي بحضورك/استحضارك، ليحضر -حرفياَ- كلّ ما جرى
لن تغويك -ساعتها- مواسم العرض، أو تخرسك ساعات الحظر
لن تُبتذل بالقول (الذي ستخنقه محدودية اللغة، حماقة التأويل، وأثر الدلالات اللفظية)
" كل حال يلزمه مقال، لا يعول عليه" يقول العارفون .
صحيحٌ سيثقل كاهلك عبء التشكل، صفحة صفحة ومأساة مأساة
(في كل بطولة وجهٌ من المأساة، في كل مأساة وجه من البطولة. أليس كذلك؟)
صحيح لن تنجو كجسر إلّا غرقاً بعد عبور الحقيقة فوقك
وصحيح سيضطرون يوماً للتخلص منك (شخصياً) على أمل.
لكن هذا وحده ربما، ما سيبقيك خالدا... في صدور مصدّقيك
وفي أذهان مكذّبيك
وفي صفحات التاريخ
الذي لن يكتبه المنتصر هذه المرة؟
فأنت كتبته بحياتك، وخلّدته بمماتك، وأبقيته للأبد.

9

أن تكونك، وتبقى في السلاسل، ينهش الكركي*1 كبدك في ليلٍ سرمد
أو تصير مسخاً غيرك، فلا تكون، ولو ظللت في قلب النور للأبد
ليس المستقبل وحده على المحكّ
إنّما الإيمان، الكينونة، والانتماء. كلّهم على الحافة، رهن قرار تتخذه لحظة ضعف أو هزيمة، فتنجو مشوهاً غير قادر على مقابلة حبيبتك: -
" كيف تنظر في عيني امرأة؟ أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟ " *2
فما بالك وأنت تسلمها للعتمة الدائمة؟
لا أظن المصيبة أنك مجرد قائد، أو جندي خاسر
ولا أنّ المنتصر، على الضفة الأخرى يفرض عليك شروطه (هل من ضفّة أخرى أصلا؟)
المصيبة أن تصدمك حقيقة انّ كل شيء قابل للمساومة
أنت وما تحمل من مشاعر/ قناعات، أو حتى علاقتك كمواطن بالوطن، مجرد رقم في قائمة شروط
وأنت،تتحصر خياراتك في انتقاء ميتة تليق بك:
منتحراً متمرداً أو قتيلاً شهيداً
جيلٌ كامل رهن وجوده بحلم، لفرط مثاليته، باغتهم دنوّه لهذا الحد
تتوالى الصدمات أهونها ربما السجن أو القتل، نهايتهما مريحة تحميك من عقدة الذنب.
أما الذين راهنوا على سيوف الأهل والرفاق لتنصرهم، ففاجأهم أن هذه السيوف التي صدأت في أغمدتها، لحظة أُشهرت أخيراً، ذبحتهم هُم، لا العدوّ.
"إن المدافع التي تصطف على الحدود، في الصحارى
لا تطلق النيران إلا حين تستدير للوراء" *3
اكتشفوا -أصلاً- أنهم، في عيون الكلّ، هم العدوّ
في هؤلاء تتجلّى المأساة.
هل يمكن لجيلٍ كهذا أن يلتفت للمدن الجديدة، معّدل البطالة، والاحتياطي الأجنبي؟
كيف لمن ماتت أمّه في المساء، أن يبحث عن حال الطقس صباحاً
هل يطلع عليه الصبح أصلاً؟
الجنود العائدين من الميدان، خاسرين، ولو مؤقتاً، لا وقت أمامهم للنقاش حول ما حدث
لقد وجدوا أنفسهم في ميدان أقسى: -
يحاربون الأن (مكبّلين) ليثبتوا أنهم كانوا هنا
يصارعون على (الذاكرة)
يقاومون (النسيان)
ويبحثون عبثاً عن سلاح يثبت هويتهم ،وطنيتهم، و-حتى- وجودهم
.....
إذا كان حقاً: الوطن (ألا يحدث ذلك كلّه)

فأين نحن؟
وما هذا الذي نعشقه، ويذبحنا بهذا التوحّش؟
ما الوطن أصلاً؟

****

1*طائر ينهش كبد (بروميثيوس) بحسب الأسطورة الإغريقية.
2،3* من قصائد الشاعر العظيم أمل دنقل.

أضع علامة جديدة على الحائط، لأنهي شهراً بانتظار آخر
في الحائط متسع لمنتهى العمر، عاماً بعد عام
الحوائط-أصلاً-لا تعبأ بالحياة ، تماماً كما لا يعبأ السجان
أما النفس فقد ضاقت بالعلامات، بالحوائط. وبالانتظار
لعلّ عقوبة السجن الأثقل أنه يبدّل المعاني، الجدران تخنقها بقتامة لا تزول إلا بطلوع شمس الحرية
"عام جديد "كلمة تعني للسجين أشياء كثيرة، ليس بينها أي مما تعنيه ذات الكلمة لغير السجين
السجناء بشر، لكنهم ليسوا كبقية البشر
"الأمل "هنا ليس حكمة، إنما فقر. نحن-حرفيا-لا نملك غيره
و"اليأس "هنا ليس خيانة، إنما رفاهية . اختيار لا نملكه ولا نقدر على التعاطي معه.
هذه السنة الجديدة-الخامسة-سنظنها الأخيرة كما كان الظن بسابقاتها
سنتعلق بكل خبر يوهمنا-كسراب-باقتراب الموعد: -
(لو لم يكن هذا السراب
فما الذي يضطرنا للسير
حتى نستبين؟)
سنقضي الوقت في تأويل ما لا يؤوّل، وفي تصديق ما كذّبته كل تجربة
سنعلي صوت الأمل، رغم سخفه، لنشوّش على ضجيج الواقع
"انقضى زمن الأشياء المجانية، أنت حرفياً لا تملك مقابلاً غير الخيانة، ساعتها ستفقد حريتك للأبد، حتى لو خرجت الآن"
سننتظر كل رسالة محبة، سنفخر بكل موقف دعم سنفرح بكل صديق جديد
سنطرق كل باب لفرج...سنصلي، نقرأ، ونحب
سنختلس قبلة تحبط مخططات الهزيمة والفناء.
سأحن إلى خبز أمي (لا تحسن القهوة للأسف) وضمّة أبي ودفء العائلة، الصحبة، والرفاق
سأكون حازماً هذه المرّة في طلب كعكة ميلادها، حتى لا يوسوس لها الإحباط فتلغي الاحتفال.
سنحتفل سوياً لأننا معاً... سنحتفل بنا.
سأقوم الأن أحلق لحيتي التي طالت؛هي تحبها أقصر،
أما عامنا الخامس في السجن، فسينقضي، كما انقضى غيره، وسيأتي يوم ولو بَعُد
تعالج ضمتنا ما اعترانا -

تسيل دمعاتنا المؤجلات، وداعاً لمن فُقد
ننتشي بالشعر، والأمنيات
أنشغل عنها بصحبة موسيقاي وكتبي
وتنشغل عني بتخيّل طفل تأخر مجيئه
ننحشر في المطبخ لنعدّ وجبة نحبها، ولا يفيقنا من (قبله اعتراضيّة) إلا رائحة الشواط.
ننتفض في حضرة فلسطين، بتوقٍ وحنين
نتأسّى على ثورتنا المغدورة
نرفض الكراهية والقبح،
نكمل الحلم، ونكمل الحياة.

تطارد (العنبرة)، هنا، كلاحة الليل، حتى تطردها
هنا يدرك الكل، على اختلافهم، قيمة الصوت، خاصة فيِ الليل (وما أوحش ليل هنا!)
لك صوت، يعنيِ لك وجود، حياة، عندك امل
لك صوت، يعنيِ لم تنهزم بعد، وإن احتفل خصومك، غروراً، بانتصار زائف
"العنبرة" واحدة من تجليات هذا الإدراك. وربّما أهمها
<< عنبر: كلّه يسمع >>. يبدأ النداء، فينتبه الكلّ.
تتشابه العنبرات كثيراً، إلا من مسحة شخصانية لكل مسجون
هذا يقول لأمه، محبوبته، أطفاله
آخر يعاتب صديقه الخائن، يلعنه والظروف التيِ خوّنته
وثالث لثورته المغدورة، ووطنه المسكين
المهم أن يقول
ربّما لا مشترك بينهم إلا وجعٌ غويطٌ، وتوقٌ وثّابٌ للحريّة
إنهم، لا ريب، يُعنبرون كيِ لا يئنّون
والليل موعدهم
فـ ليل السجن، ليس كليل الصحراء، إذ لا فرصة فيه لاستقبال الحكمة
ليس كليل القبر، إذ لن ينفعك عملك، ولا - حتى – رحمة ربّك
سكوت ليل السجن ضاجٌ، لا يوديِ الا للجنون أو الانتحار
صدّقوني: الصمت هنا يُرى، يُسمع، بل ويدميِ
<< يزعجنيِ صوتيِ كالعادة
أصمت حين أملّ حديثيِ
....
يوحشنيِ صمتُ الزنزانة
فأعود إلِى صوتيِ المزعج >> *
(العنبرة) صوتيِ كمسجون، ولو كان مزعجاً، بذيئاً. ولو كان جارحاً
(العنبرة) شعاع نور، يحرّر السجن ذاته، ولو للحظة، من ظلمة دوره القاسيِ
لذا لا أعرف سجاناً (وقد عرفت كثيرين بطول عمريِ) يستمتع بعنبرة، أو يتجاوز عنها رغم ما تحويه من فنّ وإمتاع، وتطريب (موّاليٍّ) شجيٍّ
يعتبرها إهانة شخصية، وبرهان فشل
تحبط صنعته البغيضة، هذه العنبرات المرتجلة
وكذلك يعتبرها المسجون، لا مجرّد تقضية لوقت يمطّه الضجر
إنما فعل مقاومة
يُنظر - غالباً – لقائليِ العنبرات بإكبار، لأنهم يقولون ما لا يقوله الكلّ
كلّما أوجعت السلطة والوشاة،كلّما احتُفِيَ بها، احتفاءاً جماعياً صاخباً << - واللي جنبه مرشد ينيكه >> يقول المعنبر-
الكلّ شريك (قائلاً أو منصتاً)الا السجان
وحده يتأذّى << نام يا ابن الشرموطة انت وهو..>>
قد يصمت (المعنبرون) ساعتها خشية تنكيل
وقد يكملون غناءهم، حتى التعب، وليكن ما يكون
وفي الحالين: تُعيد (العنبرة)، هنا، صياغة الواقع
ف بعدها: يُسَرُّ السجين
ويعبس السجّان
كأنّما تبادلا المواقع.

12

يدفعني القلق للكتابة
فرصتنا الأخيرة للخروج دون (مساومة)، خروجاً نظيفاً، ولو متأخراً
[لو يعلم القضاة ما يوّرطون الرفاق فيه، بانصياع قضائهم؟!]
الإشارات والتلميحات -المتعمدة- غير مطمئنة. محبطة غالباً

أتجاهلها، وأتشبث بأمل باهت مخادع، لا شبهة حدوث تدعمه في واقعنا المأزوم/القبيح.
أثق -ما زلت- في استحقاقنا للحرية. رغم كل شيء
بدأتُ صياماً طويلاً (أربعون يوماً) تنتهي صبيحة اليوم التالي للحكم (مسبق الإعداد)
عشمي أن أجد في الصوم سلاماً أفتقده، ينفي هذا القلق، و يهيئني للقادم أياً كان.
ألم يحتج (بوذا) أربعين يوماً، عارياً جائعاً، ووحيداً، تحت شجرة، ليحتمل تنزل الحكمة عليه؟
لا أثقل من الحكمة على استحالتها إلا السجن على واقعيته
يحتاج أربعين سنة للتجهّز. وأكثر. بلا جدوى.
.....
هل اخترع البشر اختراعاً/جريمة، في حق جنسهم كالسجن؟
خلقنا الله في براح الـ(فوق) اللامتناهي، كيف إذاً نعاند فطرته في خلقه بحبسهم؟
وخلق كلمتنا لنقولها، ولتتخذ طريقها هي بعد ذلك، فتشعل عاطفة، عاصفة، أو تفجر ثورة.
كلّ ما علينا أن نقول ثم لنمت بعدها راضين.
فهل قلت أنا كلمتي بعد؟ كما يليق؟ كما ينبغي؟
أم أنني -فقط- قابلت محاولاتهم إسكات الناس وكسر حلوقهم، بالصراخ؟
وهل فَهِمُ صراخي، لو فُهِمَ، على مرادي منه؟
أم أفسده التأويل، والتربص، وسطوة الانفعال؟
....
يقولون : في النهايات تتفجّر صور البدايات
(وجوهاً -أحداثاً-روائح-أمكنة، ومشاعر)
وما ألحّت البدايات عليّ كما تفعل الان
أهي النهاية إذاً؟ وأي نهاية هي؟
نهاية المأزق؟ أم نهاية القصة؟
....
سنرى، كلها أيام
وليفعل الله ما يريد.

13
يضيق الخناقُ
في المواجهة نقف (عزلاً، منهكين، ووحيدين)
بـ لا انتصار (انتصارنا المتاح لا يحقّقه إلا البقاء هنا للنهاية)
ولا فرار (إذ لا يليق، نكثاً لعهد دامي السطور)
نتشظى في الـ بين
على منحدر اللاشيء، بلا وجود ولا عدم
وهويانُنا إلى غير قعر، يثير الفزع
دون ضمّه ندّرعها لننجو أو نفنى
دون طبطبة على الظهر تقول <<نحن ورائكم>>.
عوانٌ هذه الحرب. سرمدية. أبدية.
كان يلزمها أبطال خارقين، لا يألمون، ولا يموتون
نتمثل خسارتها، وجعاً.. فـ وجع
لم يُشبعها (شرف المحاولة) الذي طال أن توهمناه كفاية
ولم تقنعها (هبّة الغرير) التي خلناها شرفاً ينئينا عن وصمة الاحتراف
تتوالى ضرباتها، قساةً، فتفيضنا نزفاً.
حتى الابتسامة المرتقبة، تطامناً صموتاً، مع كل التفاتة (تعد بالنصر؟) لا طاقة لنا بها اليوم.
تخلينا عنها وقت تخلى الله عنا، وأسلمنا للمهلكة
اتهمناه بالصمت، تواطؤاً مع القتلة
واتهمنا بالتخاذل، قصوراً أوتقصيراً (أليس صانعنا؟)
فانشغلنا -في غمرة التهم- عن المقتلة القائمة
وعن كون الوطن الذي رُمناه، أمسى مقبرة جماعية.

لا وقت فوقها للبكاء على الصاعدين
لا وقت -كذلك- لأخذ العزاء
ولا منطق في انتظار الدعم (تخلت السماء، فمن ننتظر؟)
(ذواتنا) المفتتة، هي حرفياً كل ما تبقى
نلملمها، إذاً، خيبة خيبة
لتكون سلاحاً نصيراً
أو حتى كفناً أخيراً
ولا عاصم اليوم، إلا أنت.
وإن لم يكن ظفر. فلن يكون تسليم.
هكذا بكل بساطة. هكذا بأدنى شرف.

14
عندما توقع الخراب في روحِ أحدهم بظلمك له، لا تتوقعه إلا مخرّباً شرساً
تشوّفاً ليحل بالكون خرابٌ كالذي حلّ به (لا يجب أن تسير الحياة على جثتي وحلمي) يقول لنفسه
أو عمى ؛ لا يُبصر -ولو أراد- ما يصحُّ القيام به مما لا يصح.
لا يغررك أول الصمت منه (تصامت حيلة هو)
ستتمنى، بعدها لو ثار أبكر (تخفيفاً من وطأة انتقامه)
الصامتون الآن، على خوفٍ، مشروعات تدمير هائلة
ولا شك في توحّشهم بعد قليل
يُبطئون الغضب جذوة مشتعلة، تتحين الفرصة لترمّد الكلّ
وأنت :تفقدهم فسحة التراجع، مع كل صفعة جديدة، مع كل إهانة جديدة، ومع كل ظلم جديد.
تثبت لهم، بالتجربة المرّة أو بالصدفة المحضة، أن وقوع الكارثة كان أقل خطراً ومهانة من تجنبها
تثبت لهم، بالواقع الحيّ أن الإنسان لا ينتصر في زمن كهذا: -
(لم يكن إنساناً بفطرة الخلق وحدها، بل تكوّناً وإرادة
وربّما يسّاقط الانسان فيه، قيمة قيمة، مع كلّ تخلٍّ في الطريق
مع كل فقد قسراً، على يد أحدٍ تمكن منه،
أو مكّنه هو من نفسه اختيار عقل، أو تسليم خوف).
وتثبت لهم كذلك أن الخوف لا ينتصر ولا يحمي
هو فقط، يؤجّل الصدام
بعد أن ينسف العدالة التي -وحدها- أمكن أنت تنجي الجميع
هكذا تدفع نفسك (باستمرار ظلمها) وتدفعهم (باستمرار صمتهم) وتدفع الكون الذي يجمعكما (باستمرار الخلل الحادث فيه).. تدفع الكل للانفجار.
وكلما توّرطت أكثر- وسوست لك نفسك القذرة: -<< لم يعد وقت للتراجع، تورّطت وما كان كان ولن تجرؤ -جبناً- على مواجهتها بحقيقة: "أمامك فرصة، ليكون الحساب أقل بكذبة، أقل بصفعة، وأقل بزهقه روح بريئة"
....
أوقف المقتلة الآن، ربما تنقذ شيئاً من مهلكة الانتقام الأعمى
صدّقني: لا أقرب لك منها. لا أقرب للكل منها
وساعتئذ: لا نجاة.
15
يريحك الحلم
تحقق فيه ما يعجزك واقعاً
يمنحك كلّ شيء وأكثر
يبدأ لمحه خاطفة حنون، على هامش قسوة الحياة وكدِّها
ثم يغرقك وهماً وهماً؛ حتى تنفصل تمامًا عن كل حياة
ربما كان دافعاً، في المبتدا،حافزاً
الآن ولم تعد ترى غيره؛ أمسى حاجزا
....

أومن بالحلم كما لا بغيره
صورة يُصبحُهَا الواقع، فيصيرُ أنْبَل، أعْدل، ويصيرُ أجْمل
لا مَهْرب، افتراضي يُنفي دَوْري تجاهِ ذاتِ الواقع أو يَعْزِلُني عنه.
الثَّوْرةُ حُلمٍ
بهتنا دنوّه، أسْكرتنا لذّةَ قُربه
فشغلنا ذلك عن إتمام تحقق وصله
حتى غادرنا، نأياً وهُجْرانًا ولا استحقاق
[أوجعُ الفقدِ، ذلكَ الذي يغْشانا تَلوَ وصلٍ بهيج، يوجعنا وقوعه؛ كما يوجعنا أكثر التحسر على البهجة التي كانت]

الحريةُ حُلمٍ
أحياهُ حرفيًا كلَّ ليلةٍ و يوم، و لا أغفلُ وجودي بين هاتيكَ الجدران المقبضة، و لو للحظةٍ،
أحياهُ كأصلٍ حجبه الظرْف؛
لِأعودُ إليه بتغيير الظرْف [الآنَ أو بعدَ قليلٍ]، و إلاَّ صِرتُ[سجينًا] بحق،
[الذين عاشوا خارج هنا بإغماضِ عيونَهُم دون اجتياز الأسوار المتتابعة فقدوا صلاحيتَهُم و انحشرو في برزخ البين وما عادوا قادرين لا على التحررِ فعلاً و لا حتى على العودةِ لداخل السجن.... والذين قبلوا الـ هنا مُسْتقرا وسكنًا لا يستحقون إلا الرثاء]

هكذا اللعبة يا صديقي، لا تُفرط في الحُلمِ
وإلا حبسكَ عن أنسنة الواقع،
وأهدر قيمة وجودك،
ولا تفرّط فيه،
وإلا ابتلعك قبح الواقع وحَّولكَ مسخاً.

16

عندما تُشَيِّبُكَ التجربة أو العمر
تتخلى عن أشياءٍ كثيرة؛ رُبما أوّلُها (التحايل)
تتوقف عن تسمية الأشياء بغيرِ مسمياتِها
صدقًا لا وقاحة
هذا مالا يُعني مُطلقًا إلقاء منديلك قبل قَرْع جرس النهاية
بقدرِ ما يُعني فقدَ الطاقة اللازمة لخداع النفس و ادخارِها لما هو أولى
لا يكون أمامُكَ (عمرًا وتجربة) مُتسعًا، هكذا تشعر
تفزع أولاً خشية أن تكون سقطت في وَحْل الانهزام
رويدًا رويدًا تُدرك أن الأمر لا يتجاوز تشخيص حال للتعامل معه كما يجب
و اعترافُنا بالهزيمة يا صديقي/تي لا يعني بحالٍ استسلامُنا لها
أو حتى التوقف عن القيام بأدوارنا تجاه ما نعتقدُ في صحته
لأنَّ الهزيمةُ لا تَعيبُنا، لا تُسيء إلينا، إنما تفضحُ حجم جريمتَهُم و تكشفَ ما لَزِمَهُم من خيانة ليغلبونا.
ما يعيبنا، -ربما- إنكارها، خاصة لو سيمنعُنا النظر في مسبباتِها وتصحيح ما يخصُنا منها
وصولاً لانتصار يزيل كلّ أثر لها في نهاية المطاف
لا مكان للخديعة. هذا التزامنا تجاه الرفاق
نعلمهم بحقيقة الواقع الذي نتقاسمه (نزفاً ووجع)
ونشاركهم مقاومته حتى ينزاح.
مبصرون هم. واعون. لا شك
يدركون واقعهم ولا يغفلون مرادهم ولو اتسعت الهوّة بينهما.
لكنها ثقة منحوك إياها، ساعة المعمعة، لا يصح خيانتها
لن نعميهم بأناشيد الانتصار، وهم يُساقون تترى الى الحبوس
لن نحتفل بإسقاط نظام تظاهر بالسقوط، ليحسن الافتراس
سيظل إعلامه يشوه ويكذب، شرطته تلفق وتطارد، وقضاؤه يحكم الإجهاز

سيظل يجرمُ، ما دامَ موجوداً،
وسنظل نقاوم ما دمنا أحياء.
هو لم يسقط بعد.
ونحن لن نستسلم أبداً
هذا التزامنا الأخير.

17

<< لا أُحبُ الوداع لِأنني أتجنبُ الدمع
و لكم دفنتُ من أحبتي (من ماتوا و من قتلوا!)
و اعتزلتُ الآخرين لِأعتزل الجنازات..
و ها أنا أتشظَّى، صِرتُ أدفنُ كلَّ يومٍ أحدُ أطرافي》
...
لي مع (الجليل) حكايةً تطولُ، رُغمَ كونهِ يعرفُ أهله،
وينتقي أخلصهم ليمنحه ضمة الخلود باسمه (حُلماً و قضيةٍ)،
إلاّ أنهُ يُسلمهم للموتِ واحدً تلو الاخر (كأنها طريقته في تخليدهم)
(الجليل) لا يقبل أحبابهُ إلاَّ موتى
و هُمْ بافتتان يصلّون إليه يحلمون به و يحملونهُ بين أضلعهم هماً مقيماً و بطاقةَ وهوية

"في التناقض عن الشبه"
بعضُنا يحسبُ عمرهُ بمن فقد
يولدُ تاماً، إلى أنْ يودِّع أول الاحبة، ينقص منه جزء.
شيئاً فشيئا، يبدأُ في التلاشي، تتبعثرُ ملامحهُ و تتأكل روحهُ مع كلِّ حبيبٍ مُرتَحِل؛ إلى أنْ يتمَّ النقصان فيموت.
أنْ ترحلَ مبكراً، يعني أن ترحل مرةً واحدة،
أما أن تبقى على قائمة الانتظار طويلاً، فهذا كفيل بدفنِكَ -دون تشييع حتى- مع كلِّ اسمٍ سبقكَ
الأمرُ أشبه بأبدية عذاب (سيزيف) بصخرتهِ أو أقسى قليلاً
لا يقفُ الأمر ساعة الفقدِ على (شخص)
فالراحلُ يُلمْلِمُ معهُ: لحظاتنا سويًا-خططنا للغدِ معًا-مشاعرُنا وهو هنا-الذكريات التي صنعها-طَمْأنينةَ الصُحبة-والأُلفة التي غمرت الأشياء والأمكنة التي تشاركناها.
و على قدر الشراكة تكونُ الخسارة.
....
شريكة في كلِّ يومٍ مرَّ -دون مُبالغة- منذُ اللقاء الأول مع صوتِها على مقهى بوسط البلد،
ثم تجديدًا للعهدِ بعد أن حمّلت الكرمل مسؤولية حبيب وحيد في السجن:
(يا كرملِ الرَوْح : إنه وحيد، يا كرملِ الرَوْح : إنهُ رَوْحي)
أصبحت منذئذٍ أُنشودَتُنا الرسمية في السجن الانفرادي، و دِرْعُنا لمواجهة وحشة الزِنزانة.
(ريم) لم تكن عملةً نادرةً، نفرحُ بعد تنقيبٍ بالعثورِ عليها،
و لا صوتٌ استثنائي يُشْرِبُكَ خلاصة الجمال و يمنحُكَ سرَّ الصمود
بل شريكة حُلمٍ، رفيقةٌ قضيةً، و صديقة، صادقة، تعرفُ كيف تُربتُ على صدرِ صديقٍ (لم تلتقه يومًا)، رغم الأبواب و الحواجز و الحراس، تعرفُ كيف تحررهُ بكلمةٍ و تسعدهُ بهدية
إنسانةٌ مذهلةٌ، ظلَّت مُذ وعت تقاوم احتلالاً و سرطانًا و قُبْحًا و نطاعه،
مَضَت " ريمٌ "، و مضت في إثرها قطعة الروح
رحلت و بقى صوتها و دمعاتُنا،
و ابتسامةَ ظَفْرٍ يرسمُها الجليلُ احتفلاً بضمِ بمحبوبتهِ،
ضمةِ الخُلدِ الأبدي،
برفق يليقُ برقتِها.

18

"صاح: هل نحتاجُ إلى سحابةٍ في المخ
حتى يَرِقَ قلبُ المُؤنِّثات؟"

أتشكّى من هذا الجسد الخذول
تحتاجُ أحلامُنا المذهلة لِأجسادٍ خارقة، حتى تتشكل واقعًا
(أم أنَّ روعة النصرِ تكمُنُ في أنْ يُحقِقهُ عاديون مثلنا؟)
عندي تفسيراتٌ أكثر نفسانية، سيرجحها الأطباء اليساريونَ غالبًا
و سأميلُ لها بحكمِ الإنهاك و ادعاء الأهمية.
لا أعرفُ -بعد، لِمَ سكنتَ الشَّقَ الأيسر دون الآخر ؟
هل اليسار قدرنا في (الجلطة) كما في السياسة، و في الحب كما في الشقيقة؟
ربما لم يكن ما دارَ يومَها سببًا في الحدوث، بقدرِ ما كان نافذة إعلان، و صافرة إنذار.
في (شلة الخن المُبَجّلة) ـ كما في واقعٍ قديم ـ بُترت ساق البطل بعد أنْ تابع سقوط بغداد على الهواء
سقطَ مع سقوط الوطن
مع ذلك، لم أسقط بعد، رغم السقوط المُدّوي للحُلم
فقط زارتني خفيفة، حَيّيّة، و أنا نائم، كحُلمٍ عابر يتشكّل على أثرهِ الباقي كل واقع قادم
[لو نعرف للحُلم فينا موْطنًا لاستأصلناهُ، علّنا نستريح]
عبرتني هذه المرة بسلام، لا ينقصه فزع
لم تخلّف إلا ثقلاً وتنميلة تشبه ما قبل النشوة. كأنها خدر اللذة
و(علبة أسبرين) أعارنيها جار ستينيّ، وتعليمات حازمة بعدم الانفعال،
قال الطبيب، وهو يمنحني قرص مهدئاً: "اهدأ فوراً"
نظرت له مستنكراً، ولم أرد، فأردف "أعرف انه طلب غير منطقي، لكن توقف عن كونك أنت، لتنجو"
النصيحة المستفزة ذاتها التي أزعجني بها معالجي قبل عشر سنين-من نزيف المعدة: -
(بطّل شطّه. بطّل قهوة. بطل سجائر. وبطل تبقى أحمد دومة.)
.....
سيقوم جهاز ما برسم قلب وطبيب ما بوصف دواء، وآخر بنصائح نفسانية
وسأقوم أنا -كالعادة- بالتجاهل
موقناً بأنها كالعادة أعراض مؤقتة لـ(فقد الحرية)
ستزول كلها بزوال السبب/القيد
وليذهب أطبائي المبجّلون إلى قعر الجحيم
لا سجائر الان. سأكتفي بالقهوة والانفعال.

*من قصيدة الشاعر حلمي سالم

19

أحملُ همَّ الكتابة.. تمامًا كما أخشى اللقاء.
هل وفّروا علينا ارتباك المّرةِ الأولى بعد توثيق الحادث، بأن منعوا الاتصال المباشر؟
بلا ضّمٍ نحتارُ في تعريفهِ، ولا قُربٍ نُأوِّلهُ ويُؤوِّلهُ الآخرون.
الزُجاجُ والهاتف يليقان بالوضع الجديد أكثر، يجسدان الخسارة أكثر..
ويُعبُّران عن المرحلة (كلِّ المرحلة لا علاقتنا وحدها) أكثر؛ أليس كذلك؟
الآن.. وهنا تتكشّفُ هشاشةِ القوانين التي رسختها تجارب الآخرين
فالغيابُ فادحٌ. صحيح
لكنَّ اللقاء المشّوه ذاكَ أكثر فداحةً وبؤسًا، لا إنساني مطلقًا.
كان الترقُبُ على ثقلهِ أهون
لا حراس في الخيال،
ولا حواجز تحوشُ المُراد.
ما حدث فاجعٌ حدّ التبلُّد .
أشعرني بتمام الغربة،
ليس عن هذا الوطن المسكين فحسب،

إنما عن العالم كلِّه ..
عن هذا الوجود المُستباح، عن هذه الجُندية الاضطرارية في معركة الأزل،
وعن هذه الحياة الافتراضية في مواجهة موت واقعي جدًا؛
كأنه الحقيقة وحدهُ.
ما هذا القُبح المُتعجرِف؟
هل غرّهُ غيابُ الجمال؟
أم أنهُ واثقٌ من قُدرتهِ على هزيمتهِ وسحقه؟
حتى الموسيقى التي أسمعها -الآن- تزعجني كزائدة لا محل لها
مؤكد هو خلل فيّ لا فيها (وجودها ذاته مؤشر إيجابي جداً).
دعك من هذا الجنون، وقبليني، علني أُشفى
ولا تسلمي للحزن ابتسامة روحك وحدها قادرة على إعادة الكون لمساره الذي خرج عنه لحظة حماقة.

20
كأننا ننتظرُ منَ (الخصوم) مكافأتِنا على ما فعلنا
الأمرُ في سياقهِ حرفيًا.
الصدمة والاستغراب كانا لو فعل شيء آخر
هم فعلوا بالضبط ما يليقُ بهم، ونحنُ يجب ألَّا نفعلُ إلَّا ما يشبهُنا، الآن.. ودومًا
لا شك أتمنى الحُرية.. فورًا
لكنَّهُ المُحال الذي لا كفاف عن السعي إليه (انتزاعًا لا تسولاً)
ما حدث خاصةً البيانُ العسكري الذي تلاه المُجرِمُ قبلَ الحُكم، أعاد لي الاعتبار
لو أنه منحنا الحريةِ (حقنا) لتسرّبَ لنفسي وربما للآخرين شك أنَّ العدالة ممكنة عندهم، هو فقط أكّدَ قناعاتي بأنَّ الحسابات القديمة (على يناير) تُصفّى على منصتهِم
سألني أحدهُم لما رأى الحضور مستنكرا: لازالوا حولك بعد كلِّ هذا؟ كان مصدومًا منهزمًا
انهزموا، وإن لم ننتصر بعد
كأن الغرض أن ينفضوا وأبقى وحيدًا (لهذا يُبْقُونَني انفرادياً؟!)
لذا صدمهم هذا الحشد المتواضع الدفيء (عرفتُ بمنع البقية من الدخول للقاعة)
أقسِمُ أنّي غيرُ حزين
ربما غيرُ عابئ أصلاً (أشعرُ فقط بالقرف مما وصل إليه حالُ الوطن وبالسأم مما وصل اليه حالي)
انشغلت بوجودكم عن المجرم وحكمه، وعنّ ما ورائهم (أخبروني قبلها بأيام: لن تخرج)
أشفقت عليكم منذ بدأ تلاوة بيانه العدائيّ (كان ينضح غلاً وكرها)
لو لم يكن الزجاج لقبّلتُ جباهكم جميعاً، ولغنيت لكم
ألحّ عليّ الغناء ساعتها جداً: -
"
العشق زين بسّ الهموم سبّاقه
والشوف حديد بس الغيوم خنّاقه
والانتظار للوعد، نار.... حراقه
امتى تطول العيدان
ده من زمان
مشتاق أنا والحلوة مش مشتاقة".
دعينا نغني،وليذهبوا جميعا لقعر العار الذي يشبههم .

21
كفريسة أهاجم
كقتلة يطعنون
رفضتُ المساومة، فتوعدوني
"هنبعتلك هدية الجلسة الجاية. مبروك عليك السجن لحد ما تموت" قال المساوِم
بعدها بأشهر

تقاطرت حفنة من شهود الزور، الرسميين، منبطحين، إلي قلب العار، أمام منصة (أدارت المهزلة باقتدار فاضح)
أقسموا يمينهم الغموس.
قاءوا كذبهم وتلفيقهم، الذي سبق وتجرعوه في جهة ما
وحدها ابتسامتي التي ليس إلاها أملك، سلبتهم زهوة ما حسبوه انتصاراً (ما أخيبهم!)
"أمح هذه الابتسامة لا تهزأ بالمحكمة. سأسجنك" هدّدني القاضي
استفزّتهم فعلاً. أهدرت جهدهم (ومن ورائهم) لإضفاء الجدّية على عبثهم المخزي
أما الكذب الجليّ/الوقح لم يلفت الانتباه.
كان الحصار يشتدّ، ويضيق الخناق، بتتابع الكذبة
كنت أغرق (استوحالاً قسرياً)
وكانوا يُمعنون (مع سبق الإصرار).
....
وسط هذا الخضم اللّزج المقرف
ضمّني طوق عينيها، المتلهفتين، الفاتنتين
رحمة أخيرة
استجابة، وحيدة، لصلواتٍ أحبطها صمت السماوات
ودليل جلي على لا تخلّي الله عن عباده المقهورين
التقمتُ نظرتها (الحنون كثدي أم).. على ظما
في عين القرب كانت، رغم المسافة، والحواجز، والجنود المسلّحين
اتجهت برأسها، عينيها، لهفتها، شغفها..
وحسنها الهادئ كلّه. إليّ
وفي وقت انشغل الكل بالعرض. لغيري ما التفتت
ابتسمت لها صادقاً، ممتناً
لا كما في مواجهتهم تبسّمتُ
فتبسمت. أو هكذا خُيّل لي.
شحت بكلّي عن أراجوزات العرض القضائيّ
ووليت وجهي شطرها
لكم من الوقت؟ لم أنشغل (ليتها امتدت بطول العمر تلك اللحظة)
هذه الفتاة/السيدة/الأنثى
خمرية الوجه، بيضاء الخمار، غائمة العينين
شكراً لكِ

22

يُظنُّ بالعاشقين الجنون مِمَّن لم يجرِّب
.."من ذاق عرف"، واستعذب في محبوبه الألم و طلبه، طلباً للقرب
-ولو ألماً-.. "اللهم خذ مِنّا حتى ترضى"
حتى أن أحد السادة كان عند اشتداد البلاء يقول: "هون علينا ما نزل بنا أنه نزل بعينيك".
هكذا الحال عند أهل الحال
ليس صبراً ولا تحّملاً، ثم طلباً فحسب
إنما فرحاً خالصاً حيث يتشكى العاديّون ويسخطون
قدرتنا -كبشر، تخذل سماويّة التطلّع
وعلى قدر السعي، في البدء، تخلّصاً من ثقل ماديّتنا، وتخفقاً للروح (التي هي حظنا من ذات الله)
على قدر ذلك تكون الدرجة، ثم الوصول.
تجمعنا شراكة التجربة، كما جمعتنا قبلها شراكة الوطن (القريب/البعيد)،
وشراكة الحلم الذي خذلناه بسذاجتنا، قبل أن يخذلنا هو بكونه (غير ممكن للعاديّين)
وقبل هذه وتلك، ستجمعنا -يقيناً- شراكة صبح (قادم مهما تأخر)
.. نحن أهله وعزوته.. يليق بنا ونستحقّه
لا تستعجل/ي الفرج، حتى لا تنقص الفرحة الكبرى

سنتقوى به -قويّاً لا يُغلب، ونتصبّر (منه) صبوراً لا يعجل، حتى ننتصر (له).. نعم النصير.
(هو) لهم، هناك، أكثر مما نحن لهم، وأقدر مِنّا ومنهم على الفعل والتدبير،
كما أنه لنا، هنا: أعلم بنا مِنّا وأدرى بطاقاتنا من أنفسنا... "إلا وسعها"
فـ لـ نثق به، كما وثق هو بنا، وحمّلنا الرسالة.
اصطفانا، فلا نكن على غير حال المصطفين.

23
بذات الربكة الأولى أتلعثم
تتكسر الكلمات على شاطئ الشفاه موجة موجة
كأنما أتعلم المشي وأتهجى.. فأحبو وأتهته
أتعرّف على الدنيا كلها من جديد كأني ما ولدت سوى الآن
لم أستطع الصراخ كما يليق بطفل دهشه سطوع خارج الرحم
غريب على المكان (رغم ما انقضى فيه من عمر) وعلى الزمان (رغم تلكؤه وثقل خطاه) غريب على الحال القسري الغصب (رغم مظنّة كونه الأصل)
لا اعرف الناس وإن تكرر اللقاء وطالت الصحبة
حتى هذا الوجه الذي يقابلني في المرآة أتساءل: من أنت؟
ليس الا الغربة والوحدة
منعصر بينهما كأنما أنسحق
لولا أنه أتاني (محرّرا دافئا وحنونا)
هذا الصوت لي.، أقول لنفسي
هنيئا لك ما لك. تقول لي نفسي.
كيف رغم البين أشعر أنك أقرب؟
أوضح وجودا وتجليا فيّ،على كل حال؟
كيف تجسدتِ – لا حلما- بين يدي إنما لحم ودم
كيف والسجن هو السجن؟ كيف وأنت هناك؟ وانا لم أزل هنا؟
أعترف الآن بفشل محاولات الفرار؟ وبفشل الهدنة التي أردتها لقلبي؟
ما فررت منك إلا لك..
وما ازددت فيك إلا حبا.

24
غويطٌ بئرها نفوسنا
لا ندرك قعرها، مهما توهمنا المعرفة
وحدها التجربة تكشف ، صانعة المعجزة هي (دعك ممّن يرّوجون لانتهاء زمن المعجزات، هم فقط فشلوا فب إدراك (كيف؟))
تظن ألا طاقة لك بالتحدّي
تقول: "قف ستسقط". فجأة تسقط فعلاً
لم تكن متنبئاً حين فعلت. لم تكن سوى أحمق
لو أخرست هذا الصوت، بكلّ تصديق: "أكمل ستصل" لوصلت، مهما بعدت غايتك.
اهزم عدوّك الذي فيك، قبل أن يهزمك
لا تلحد بك، لأنك قادرٌ، ومستحقّ.
لو أخبرني أحدهم (تعرف من أقصد!) أنني سأمكث ثمانين شهراً هنا،وحيداً، في زنزانة، دون خروج، دون رفقة، ودون قدرة على التأقلم..
لو قال أحدهم ذلك، لألهبت قفاه صفعاً، ولأغرقته بصقاً
محض الفكرة مفزعة
تشلّ عن أي رد
و-ربما- تدفع لاستجداء الرحمة: " أرجوك قل لي ما تريد، سأفعل، فقط جنبني التجربة"
أما وقد جرّبتُ فعلاً
الأن وقد فعلتها
أنهيتُ نحو ثمانين شهراً، في زنزانة انفرادية، أقوم بذات الممارسات داخل ذات

الجدران، وأصطبح بذات الوجوه التي تنضح تهجماً وكراهية.
وفوق ذلك: أخوض -منهكاً- معارك يوميّة على (الدواء-الكتب-الرسائل-الصور-الزيارة-والتعذيب "الزملاء لا أنا")
وأخوض مع نفسي (المزعجة) كلّ ليلة ألف معركة لأبقى على قيد الأمل... ثم لأبقى فقط على قيد الحياة.
تصوّر كمّ الوجع، الضجر، السخط، وحتى الخوف الذي غشيني كل لحظة من هذه السنين الطوال؟
حسناً: جرب حبس نفسك، لعدة ساعات، في غرفة والقِ المفتاح من النافذة
ثم تخيل امتداد هذا الشعور، للأبد.
تخيل شعورك وأنت ممنوع من: (التسكع فجراً-انتظار دورك في عيادة طبيب-حفلة في دار الأوبرا-عشاء طبلية الأسرة-وداع على السلم بعد سهرة-شجار مع صديق-فرحكما بالصلح-حوار على مقهى-التدخين في الشرفة-التسوق في صحبة-سحور الحسين-إفطار على الطريق-مباراة كرة في الشارع-مختلسات عتمة السينما-اجتماع مع الرفاق-سداد دين-منام على سريرك-سهر على ذات السرير-حضرة ذكر-مجامعة أنثاك-قيادة سيارتك بلا هدف-ونس غنوة لفيروز في سفر بعيد- مشية إفلاس بعد زيارة مكتبة-ركعتي حنين في مسجد صباك-وصولكما للذروة معاً-حضور ميلاد الشمس من رحم الماء-فوات أخر قطار مترو-فاتحة على مقام وليّ-حيرة اختيار الألوان(وحدة الأزرق هنا)-قبلة على عجل-براد شاي على راكية في الغيط-هجر النوم لتكتب-زحمه على طريق العودة-سكينة الغروب في الصحراء-سباحة شهوة-سباحة تطهّر-زيارة قريب بعيد-شمعة في كنيسة تألفها-اشتراككما في الطهو-رقصة هادئة-التأفف ذاهباً للعمل-الغياب عن العمل لتشبع نوماً-فطور على عربة فول-جنازة شهيد-مفاوضة بائع على سعر -فوران القهوة عتاباً على غفلة-قبلة متلهفة-النوم في قطار-شراء كومة صحف-حومة الثورة-ندوة شعرية-فسحة في ترام سكندري-إيصالها للبيت-ما قبل افتراقكما-دمعة على قبر-انتظار قادم-ربكة التماس-غفوه على حجرها-وداع راحل-استراحة على الرصيف-وجع لفقد-..ومجامعة أنثاك ثانية..)
مللت من مجرد القراءة؟
صدقني: هذا الملل يقتات أعمارنا منذ سنين، يلوك أحلامنا، ويبتلع قادمنا
ولا ندري. متى سيشبع؟
لا ندري لو أنه يشبع-أصلاً؟
ورغم ذلك: نتجاوز ونعبر ونثق في استحقاقنا للوصول،
ولو بندوب، أوجاع، وخسارات فادحة.
صدقني/صدقين : أردنا أن نبقى،وسنبقى.

25
عام جديد
مؤكد ليس مجرد فارق حسابي بين رقمين عند الحسّابين
ليس شمعة إضافية في احتفال لم يزل افتراضي (يهاجم ليمنع هو الآخر)
ولا علامة جديدة على حائط الزنزانة (ينوي ابتلاع أعمار الجيل كله)
ليس زَكَّة في الخطو ولا بياض في الرأس ولا تجاعيد في الوجه وتجاعيد أكثر في الروح
ربما هو لافتة توقفني على باب التذكر تقول: " نفذت لفرط الاستهلاك"
ربما هو باب مضاف يفصلنا عن الحرية
كما يبعدنا قسرا عن الوطن (كما أردناه، لا كما أرداه الآخرون)
ربما هو اختبار جديد للصمود؟ تتآكل الإرادة بفعل الرطوبة كما تآكلت المفاصل (وكلاهما يشق عليه حملي)
تراتبية الجدران وضيق المساحة يضيّق أفق الخيال (الذي كان براحه مهرباً أنتصر به على انعدام كل براح)
ربما هو الفزع الذي ينتابني منذ فشلي في مواجهة الشمس؟ حين لا يكون بيننا هذا السقف الحديدي البغيض
أتألم فأغمض عينيّ في كل مرة
أصبحت أتجنب -أصلا- التطلع لأعلى
ألفتُ نظراتي خطاي المتّاقلات حتى صرت أتعثر بظلي
تُرى: كم من أبناء الجيل وجّه الظرف ناظريهم لأسفل رغماً عنهم؟
ربما الفارق بين العامين يكمن في عدد الراحلين (صعوداً أو قِلا)
أو بالأحرى في عدد الباقين فتعدادهم أيسر.
رغم هذا كله: لم أنهزم بعد.
لكننا/جميعا/على طريق لا نهاية له إلا الهزيمة
لا نقاومها ولا نخشاها

بل نتعجّلها ك احتمال -وحيد- للهدنة
دعونا إذاً نعود للأمل (فقراً لا حكمة)
آمل/وكم يخذلني الامل.. /أن يأتي الأحبة، يعود الراحلون، أو/حتى/يطاوعني الحلم فيخلّقهم خيالاً عابراً لا توقفه الأبواب
لو كانت هنا شرفة، فيها ياسمينة ودمشقيات
لو أرى السماء وحدنا دون هذا القفص الحديدي الخانق فوقي
لو تبعد الحوائط.. أو تتلاشى
لو يتوقف المعذّبون عن الصراخ
لو يتوقف تعذيبهم أصلا
لو ينفتح الباب/الغليظ
لو يتكسّر القيد
......
لا بعد رغم القسر، ولا أسر
نحن احرار لأننا كذلك. هكذا خلقنا، وهكذا سنبقى للأبد.

26
نحتاج النسيان لنبرأ
لكننا نخشاه لأننا محض ما نتذكر
أو ربما نحن ما ستسعفنا به الذاكرة لنرويه.. كأننا الرواية لا الرواة
وعلى قدر ما ننسى، يسّاقط بعضنا حتى نتلاشى تماما، ونُنسى نحن كأن لم نكن
لكن كيف نتذكر ما فينا واقع، لم يغادرنا أصلا لنستعيده تذكراً؟
لا يعوّل على هذه المساحة بيننا / الوهم بيننا
تماما كما لا يعوّل على كل شوق يسكن باللقاء، فلا يروي الظمأ قرب لا يحصل التوحد به
فكيف إذا بمن لا يفارق الحضور: حلولا عند مظنة الغياب، وكشفا للرائي حين يرى؟
هل نخشى الوجد اذًا ولا وجود مع الوجد؟
وهل من حاجة للوجود أصلا مع تمام الفناء فيه؟
ام ان هذا هو التناقض الذي قال العارفون أنه عين الشبه؟
وأين لنا طرفي نقيض في نقطة كلها مركز، لا أطراف تبعد ايها منها أصلاً.
هذا حال لا أجرؤ فيه
أجبن – حرفيا- من مجرد التفكير، كي لا يتوحش الهاجس ويفترسني في المنتهى، لا أقر اعتقادا حوله – الهاجس- بعد"
هل هو كنجمات السينما، يقتلهن بعد الأضواء؟
ام انه كفراشة، يفتنها النور ليقبرها؟
لم أصل بعد، لم أزل أجدّف كعادة التائهين الحمقى
قد يُظن أنني انتصرت لأحدهما حين بدأت الكتابة، والغالب أنني فقط انصعت لإلحاح يضغط صدري هربا من الانسحاق تحت وطأته.
هل تحررت قليلا بالخطوة الأخيرة، وهو ما دفعني، اول ما دفعني للعودة للمنابت (حنينا وشوقا)
يثقل علي هذا الظن لأن التحرر الأحادي لا يعني أكثر من التحول لضاغط ،بدلاً عن البراح.
سأحاول الهروب من المأزق بتصور الحديث الى الذات، حديث الفاقد للمفقود الذي كانه،استعادة لما كان لا فائت يستعاد.. صحيح
لكني أراهن على أنى لم أفته ولو فاتني هو
استدراك: هذا حال منزّه عن كل غرض، يدرك واقعا مفروضا لا ينكره ولا يؤمن به.
وقد قمعت نفسي، لسنين، عن كل فعل، درعا لأعين الملاحقين وآذانهم (شعروا فجأة بخطوة)
وخشية الانتقال لدرك أسفل مما اوصلتني له حماقاتي السابقة
دون أن يبرح الشعور (شوقا وفقدا) جنبيّ للحظة
فاستبدلت الصلاة بما سواها
ثقة في أنه – القدير- أدرى بالحال... أجدر بالفعل، وأوصل للنجوى
لم أبدأ لأقول ولا لأصل
كان الاتصال مجرداً هو الغاية
يلحّ التوقف عليّ الآن

تقديما للكتم على حساب البوح (اضطرارا لا انحيازا)
وقبله: استغفر على هذه وتلك.

27

أغرقتني دمعاتها عجزًا، كما أغرقني حضورها حنينًا ولهفة.
شهيدها في الحالين أنا
صعبٌ.. طويل، وفاتن هذا الامتحان
وانسانيتنا (مكسبنا الوحيد في نهاية الرحلة) هي عثرتنا الوحيدة على طريق البقاء
الاختبار مرعب رغم بساطته: نبقى كآلات تتلقى الأوامر وتنفذها وتدوس في طريقها على كل شيء، المهم أن يرضى الصانع/المحرك وألا تسقط.
أو نرضى بالسقوط والتكسر جراء الضربات التي لا تتوقف
فخورين بهشاشة تليق بإنسانيتنا، ولو لم نخط غير خطوة واحدة
لكن، بمشيئتنا نحن، وتجاه قبلتنا نحن
وربما في النهاية نعبر اللحظة على توحشها، أنضج وأجدر بالغد الذي سيخلقه صمودنا على أمل
ساعتها لن يمنح دفأه، نوره وبراحه إلا لنا
وحدنا ساعتئذ نستحق
أما الان هذا الكارثي، الخرائي، المفزع سينقضي حتمًا كما كل شيء
سنتذكره غدا في جملة قصيرة، اعتراضية ،تصحبها ابتسامة امتنان لقسوته التي جعلتنا ما سنكونه يومها.
سيعبرنا يقينًا كأي ريح عاصف، لن تحمل إلا المؤقت منا
و(نحن): الحب، الحرية والحلم..
نحن ما سيبقى رغم كل شيء
خفيفين أغنياء بما فقدنا، فكيف أثقلنا الخوف فوهنّا إلى هذا الحدّ؟
أغبياء باستسلامنا لنوبة الهلع الحاصلة، تلك التي أوهمتنا بالعماء.. فعمينا، ولم نعد نرى غير صدمتها العابرة التي ستزول بعد قليل.
وسنضحك حينها من هزال إرادتنا، ونأسف على سوء ظنّنا بالله الذي وعدنا،ولم نزل -بحمق- على شك (ونحن عياله المستحقّين) هذا (نحن)
أما (الأخرين)
الساجدين لإله -صنعوه بليل- سيقتاتون عليه في أوّل فرصة (جوعاً أو طمعاً)
هؤلاء زائفون كمعبودهم، وسيتحطمون معه ساعة الحق القريبة.
أصلاً لو كان إلهاً من (عجوة)، لربّما أكلناه معهم، تقية أو انتصاراً لغريزة
لكن أي غريزة (وسخة) تلك التي تركعنا لإله (الخراء) الذي يعبدون؟
ألمجرّد أن الآخرين يسجدون له؟
اللعنة إذاً، على الأخرين، أو الرحمة لهم. لا يهمّ
أنت الآن، وحدك، ما يهمّ
يهمني أن تكوني بخير.. وسعادة
يهمّ الله -واضع الامتحان- أن تجتازيه ناجحة وسالمة.
ويهمّ الدنيا كلها إشراقك عليها كلّ صبح، كما دوماً
فلا تخذلينا، سيدتي، رجاءاً.
واحتفي بالحزن الحاصل جداً
سيغادرنا قريباً، وربما نفتقده.

28

مشتاق وأكثر
تلحين بقدر إلحاح الحلم، الوطن والحريّة
حنيناً وتمسكاً بأنقاض بصرحٍ يتهدّم (بفعل الوحدة والرطوبة)
أفقد عقلي -حرفيا، ولا أستوعب أسباب هذا الانزلاق المباغت/السريع
أصبحت ضمن طابور (طويل بالمناسبة) لدى طبيب نفسي (مختلّ بالمناسبة)،
والخياران قاتلان مهينان وموجعان للغاية: -
-النوبات (نوبات قلق مصاحبة لأعراض اكتئاب على شكل ذبحة صدّرية).. ووحلها.

-الادوية (مضادات اكتئاب ومزيلات قلق ومهدئات).. والظلمة التي تغرق للروح فيها
كان الدواء ممنوعا قسرا بأمر السجان لثمان شهور "إحنا عايزينك تتجلط" هكذا قال.
وهكذا تعقدت الأمور وصارت ما هي عليه الأن (حتى الأدوية التي تهدّ النفس والجسد، لم تعد تجدي نفعاً)
لو يتوقف السجان عند التعذيب.. لو يتوقف الضحايا عن الصراخ باسمي (دون السجن كلّه).. لو اتوقف انا عن الاستماع أو الوجود
حتى ربّما لاختلف الحال ولو قليلاً
أنهكني الصدام اليوميّ المتكرّر
لا انسانيّ... لا منتهي
لم تعد بي طاقة للشجار، ولا حتى للمقاومة
نفذت، دون ان تنفذ قراراتهم الوحشيّة على الإيذاء
وأنا: صرتُ أفّر كالجبناء
آخر فرار، قبل الموجة الباردة، بيوم واحد
دخلوا في حملة صباحية، وقاموا بتجريد الزنزانة من كلّ الملابس الشتوية
وبعض متعلقاتي الشخصية. هكذا بكل بساطة.
وقفت أنظر لهم كأن الأمر لا يعنيني
تمادوا لاستفزازي بتخريب، وأنا صامت، حتى سألوني: "هو انت مش هتتخانق؟"
لم يصدقوا سكوتي. لم يعتدوه. كان غريباً عليهم وعليّ
حتى القلة من الأحبة الذين كانوا يسمحون لهم بزيارتي، وأستمدّ منهم بعض قوّة، منعوهم (هل أعطوهم مبرراً للغياب، بمنعهم
ونورهان (السند الأعظم)، كان الابتلاء أقسى من قدرتها؟ فرحلت
وأخشى أنها ليست آخر الراحلين
كأنني عار تماماً.. وحيدٌ تماماً في مواجهة هؤلاء
وهم لا يتعبون (التعب بشريّ جداً، وأولاد القحبة هؤلاء ليسوا بشراً)
...
ولا زلت أنتظر
أم أن الانتظار هو ما يؤجل المنى أصلاً (الحريّة ألا تنتظر شيئاً)
تعاندنا الأشياء حين ننتظرها، وفي اللحظة التي نلتفت عنها لغيرها تأتينا مرغمة طائعة.
لنجرب التحرر من عبودّية الترقب، ولو قليلاً،
ربما يتحقق المراد.

31

يتتابع الوجع بتتابع الضربات
حتى يتفلت من ذهنك إدراك مصدره. أنت موجوع وحسب
غير قادر على فعل شيء: لا نجاة، ولا-مجرد-مقاومة
وكل محاولة للتجديف، بذراعيك الواهنتين، ستنزفك أكثر
ثم، شيئا فشيئا، تفقد الحماسة والطاقة للقيام بأي نشاط
والأدهى: تفقد القدرة-حتى-على الصراخ
ويفقد الآخرون القدرة على الإبصار
يحجب الموج عن عينيك كل رابط بما سوى القاع
والقاع، فقط، يبتلع، ويقبر
تكف السعي، ظنا ألا مسعى يستحق
"لماذا سأنجو؟ ولمن؟" يحدثك قنوطك
فتسلم. مغمضاً. وحيدا
لا ترى الكف التي تمتد لتنتشلك
لا ترى العينين اللهفاوين لتخرج. لهما
وفي رحلة التعجل لأسفل (طلبا للراحة، ولو غرقا)
يتردد من عمقك صدى يغني. لك:
"وحين يهشم رأسي الجنود، لا أنساك;
أهواك أكثر"

تفتح ذاكرتك، على غير هدى، عسى أن تكون من الناجين
تفتح عينيك، هي الأخرى: ليس وهماً هذه المرة
إنها هي: لحما ودما. شغفا ولهفة. وانتظارا
تمد لك كفا-ما أوهنها طول ما امتدت
تقول لك: "اخرج. من أجلي"
تقول لنفسك: "تستغلها يا ولد. وعدتها لو مددت يدك
ليس شريفا. هي تريدك، وأنت تريد النجاة"
ششششش. اخرس الآن
ليس إلا أن تسترد عزمك
تدب في عينيك اللهفة، لترنو
في قلبك-المنهوك-النبض لتقبل
في ذراعيك الحياة، لتجدف
الق بكلك نحوها

تستحق الأمل، ولو لن يتحقق
تستحق النجاة، بيدها،
تستحق-أو لا تستحق-بعد هذا الصراع: الحياة
وإن لم يكن
فلتمت ساعتها عاشقا شهيدا، على الطريق
كما يليق.

32
حقيرة غرائزنا. متوحشة. على النقيض من إنساننا تماما.
(لو انفلتت لنهشت)
تتكشف، نهّازه لأي فرصة، بوقاحة وابتذال مخجلين
تجنح ل أناها (قبحا وكرها)، مهما تجملت بوجه أكثر إيثارا ومحبة
أتفهم تطلعها للخروج من السجن
فطرت على الحرية وتتعجل العودة لفطرتها
لو فعلت غير ذلك، لقلقت
ترفض القيد وتقبضها قفلة الباب (يغلق على كل يوم، والاختناقة المؤذية هي هي)
يرسخ سجنك أن يودعك رفيق عند الباب
يبعث حرا من جديد (ابن المحظوظة)
وتدخل قبرك أنت. يعبر وتقيم.
يخلق ذلك صوتا ارتبط بطقوس الدفن، منذ الصبا: -
"رحلوا وتركوك، وفي التراب وضعوك، ولو ظلوا معك ما نفعوك..."
وقاحة أن يقال هذا الكلام لميت، وهو يوارى الثرى
مكايدة، هي، لا تعزية
يؤذيه-جدا-خطاب كهذا، وهو يلقى عليه مرة وحيدة، عند دفنه
وهو لا يسمع، ولن يجيب
فما بالكم ب هنا، في السجن؟
يتكرر ذات الشعور الطاعن، مع كل رفيق يودعك للحرية
تسعد لأجله من العمق
وكلما قرب، جاءت السعادة أعمق
لكن يلازمها-رغما عنك-ثقل الترك، ووطأة الوحدة
{يعزلونك عن الكل كطاعون، إلا ما اختلست من صحبة، فكيف تحتمل قمع القليل/المختلس؟}
"متى يحين الموعد؟"   نفسك تسأل
"يوما ما"   تجيبها.
أول الداخلين ليس أول الخارجين بالضرورة. تقول التجربة

نستحق كلنا النجاة. فورا
"لولا أنك أقدر، لما اخترت للبقاء كن لائقا بالاختيار" أردد
ثم أنتزع من عمقي ورد الطلب: "اللهم فيّ لا فيهم" ترويضا للذات
......
في سجن قديم، كانت أناي القديمة، تلعن السجان في وجهه، يوميا، وهو يغلق الباب:
"إلهي شل يد تسك الباب علي"
فزع أحدهم، بصدق، فأفزعني
أبى أن يغلق الزنزانة، وفعلها غيره
لكن فزعه صفع حقارة نفسي فأوقظها
"كيف تطلب الأذى لإنسان، وما خرجت إلا للإنسان؟" أسألني.
الآن، وقد انصاعت نفسي [إلا قليلا]
أقف بين السجانين، حين يجيء الموعد
وأصلي، صادقا: "اللهم اسعد من يحبسني اليوم"
فيتسابقون لفعلها. الأنذال.
لم أزل أنقبض، أختنق، وأكاد أعود للقاسي الذي كنته
لم أزل لا أتمنى قبل الحرية أمنية. لا أعتاد ولا أتأقلم.
لكن النجاح في تخليق لجام يضبط توحش الحيوان فيّ
خليق جداً بالاحتفاء
حتى يؤذن بالاحتفال الأعظم..يوما ما.

33
في قفص كأي حيوان
بين جدرانه الأربعة
يجتمع المتفرجون من حوله، يلوحون ويتبسمون،
ولا يفوت بعضهم التقاط الصور
يروح ويجيء متخبطاً، بالقدر الذي يسمح به الطوق والسلسلة
أو بالقدر الذي يتجاوز عنه الحارس الذي يراقب كل حركة متأهبا للانقضاض عليه لحظة تخطي الحد
وذاك الحد لا يعرفه هو، ولا الحارس نفسه
في يد الحارس عصا، يستعد بها لتقويم سلوك كلبنا لو أزعج الجمهور
هم هنا للاستمتاع، ونباح غير مستساغ أو حركة عصبية، ربما يؤول على أنه شكاية أو محاولة تمرد، قد تفسد المشهد
لذا عليه البقاء دائما تحت سقف التوقع. وإلا: العقوبة موجعة.
كعادة الصغار-أولئك الذين يفرون من كامل الحي لمجرد علمهم بوجوده حرا بالجوار،
يتناوبون الآن إيذاءه..
يلقونه بحجر، فضلات، أو-حتى-يقتربون لأدنى درجة، ثم يركلون القفص لإفزاعه أو البصق عليه
{الحارس يحتفظ بسماجة تبسمه. ما يهمه أن يستمتع الحضور. وهاهم يفعلون}
كان يحلو له-بين فينة وأختها-أن يستدرجهم بهدوئه واستسلامه المدعى
قبل أن يفصح عن ثورته، فينبح فجأة، كأنما يهاجمهم فيهرولون
رغم كونهم يعرفون-يقينا-أنه في السلاسل لم يزل، وأن بينهم وبينه هذا القفص الحديدي
لكن نباحه-مجرد صوته-كان يبعث في ذاكرتهم من هو . من كان.
لم يكن ساعتها يسلم من عصا الحارس، أو حرمانه من عدة وجبات، عقابا
لكنه قرر الاستمتاع، ولو، بألمه
كان يحولهم لعبته، كما ظنوا-مذ حبسوه بقفصهم-أنه أصبح لعبتهم.

34
لا فلسطين إلا فلسطين. كل فلسطين
و"الاحتلال مجرد جملة اعتراضية في حياة الشعوب", مهما طال أمده.
أما السبّاقون إلى وحل الخيانة(المجانية/المبتذلة)؛
سيبول المنتصرون، على تماثيلهم، وقبورهم، غدا

سيحصدون نتاج فعالهم، لعنة وحسرة. وهزيمة كبرى تنسف كل نصر توهموه
فقط، عندما يتهدم الجدار/الأزرق/الزائل، الذي إليه يركنون
سيّلت لعابهم حسبة القوة، وقرارة الواقع
أفقدتهم عقالهم، فأفرطوا في الإفصاح عن عفن مكنونهم.
لا تطرأ الخيانة عرضاً، ولو بهتنا إعلانها (إعلاناً جماعياً ذليلاً)
هي وليدة عقيدة فاسدة، وإدراك أعمى، لا يبصر عدوه
لم تعد الخيانة، عندهم، وجهة نظر. أصبحت كنهاً وهوية
فرّطوا في الأرض، شبراً شبراً
أسلموا الأهل، للمقصلة، رأساً رأساً
حاصروا، جوّعوا، وساوموا..
ثم قاتلوا، بأيديهم، وقتلوا جنود المقاومة، ومازالوا يفعلون
قُسّم القدس، ثم أُسلم كاملاً، بفلوسٍ عربية
خنقت غزة، وجوّعت، بأسوارٍ عربية
شوّهت الجغرافيا، وطمست، بخرسٍ عربي
ومدّت الأكفّ، التي تستأهل قطعها، للتطبيع، برعاية عربيّة
"اتفوّ" على عروبةٍ هؤلاء أبناؤها
هؤلاء الذين لا من نارٍ ولا من طين خلقوا، إنما من وسخٍ وخراء.
قسوت على صديقي حين كتب: "تلت الرصاص للعدو، وتلتينه للخاين"
الآن-قانعا-أقول: "كلّ الرصاص للخونة، فالعِدا هيزول".
صدقوني: لا غد للوطن، وهؤلاء بيننا
لا وطن أصلا، وهم هنا
لن يتركوننا، وحيدين، في المعركة، فقط
بل سيغدرون بنا من الخلف
سيطلقون-كعادتهم-الرصاص على ظهورنا، قبل أن تصلنا رصاصات العدو
ونحن: جرّدَنا التعثّر من كلّ ورقة ضغط، أمكن بها أن نجبرهم، ولو على التراجع قليلاً
لم يمس الواقع، كما أمسى، لأننا ثرنا
بل لأن ثوراتنا لم تنتصر
جاءتهم خساراتنا، التي على أيديهم وقعت، منحة تعجّل بتنفيذ المخطط
كان جاهزا على أيّة حال، بانتظار الفرصة السانحة
وتحققت الفرصة بسقوطنا؛ ليجهزوا على القضية، تماماً
كما سبق وأجهزوا على الحرية قبلها.
و(خلف نضال الداخل، مقاومة وصمودا، والذي وحده سيقود ويقرر
والذي وحده سيبادر بإشعال المعركة الكبرى لتحرير كامل الوطن، وسيتبعه الكل مستجيبين)،
الوعي، وحده، سلاح الآن
الوعي -بحقيقة الصراع، تحريرا لا مساومة
-بواحدية العدو، إحباطاً للإلهاءات المكرّسة
-بعروبة فلسطين. كل فلسطين، لا فتاتها الفائض من المحتل.
أما المتصهينون علانية، لكرسيّ أو مصلحة (سيراً مع تيار التصهين السائد)
سيسقطون وكراسيهم، مع العدو، غداً
وسيحشرون بين يدي الشعب-لا ليثأر ساعتها، بل- ليحقّق العدل.غداً.

35
لا سعيا للتمايز قمنا
لكن، ثمة اختلافات، مبادئية، فرضتها طبيعة التموضع
أهمها، في ظني، الانحياز، لا على أساس القوة أو الكثرة

القوة معيار التوحش، والكثرة سمت القطيع
أما الإنسان-الثائر خاصة-عياره الحق (الذي اعتقد فيه بعد اجتهاد)
يتخذ الموقف، ولو بلا سند
يمشي الدرب الموحش، ولو وحيدا، واحدا
وتلك جذور شرفه (لمن يهتم)
أما أن تجرفك قواعد اللعبة (القذرة أصلا، المرفوضة أساسا)
و(الولع بانتحال نحلة الغالب)، ظنا أنها-تلك النحال-سبب غلبته
{هذا سلوك المغلوبين، و الانهزاميين}
لا يشبه الأسوياء من الجمهور. فما بالنا بالمبشرين؟
....
لم يكن اهتماما بحدث، يعيد تشكيل الخارطة (سياسيا، جغرافيا، ومراكز قوى)
فالحدث جدير بالاهتمام والمتابعة، عموما
المخيف، كونه فجّر رهان محموم على "محتل" آخر
ليس همجيا، سوقيا، ولا مختلا كمنافسه. صحيح
لكنه يعبر عن ذات التوجه (الاستعلائي، الكولونالي)
ولو بأدوات أقل انحطاطا، وخطاب أشد انضباطا
ولو قابل للحوار، والأخذ والرد، دون بلطجة ال "cow boy" إياه
ولو تبنى ملفات نستفيد منها، في الأمد المنظور، أو نتفق مع بعضها، مرحليا
هذا الرهان (المخيف، أكرر)، غفلة عن حقيقة الصراع، لحظة تخبط
لن ينتكس حالنا بسببها إلى السقوط فحسب
إنما الغرق في قعر العار، وتلك ميتة لا تمحى ولا تغتفر.
ألم يكن (الاستقلال الوطني)، على رأس أهداف الثورة المصرية؟
ألم نثر-ضمن ما ثرنا-على تبعية مبارك ونظامه للأمريكان والصهاينة، وانبطاحهم، ولو على حساب الوطن، والقطر؟ (نظامه الساقط، ونظامه الممتد)
"آخرة خدمة الغز. علقة"
وأوراق الضغط تبقى أوراق ضغط {هل صادفت عروس ماريونت تبادلت الدور-مرة-مع محركها؟}
لو سمحت باستخدامك اليوم، ولو في مواجهة السلطة التي ترفض وتقاوم
ستستخدم-غدا، قسرا-لمصلحة، السلطة طرف فيها، وربما العدو أيضا.
وكونك مدين، للأمريكان أو غيرهم، بتخفيف القبضة عليك، ومنحك متنفسا ينجيك الاختناق والموت، سيسلبك الحق في تبني مواقف تتعارض، أو تتباين حتى، مع الدائنين
سيبقيك (مستخدما)إلى أن تنتهي صلاحيتك؛ فتلقى في أقرب صندوق قمامة.
يسعدني زوال البطش
لكن: بنضال وطني خالص، لا ارتباط فيه ولا استقواء (اللهم إلا التضامن والمساندة الإنسانية، بعيدا عن الأنظمة والحكومات)
أتمنى سقوط مذل ل(ترامب)؛ عقابا على ما قدم للصهاينة ابتداءا
لكن: لن أدعم، ولو عرضا بخاطري، أيا من خصومه
أنتظر الحرية (الآن. وفورا)
لكن: بيدي، لا بيد بايدن.

*-1-التعبير لابن خلدون في مقدمته.
-2-أهداف الثورة المصرية 25يناير2011: حرية، عدالة، كرامة، استقلال
-3-مثل شعبي مصري. والغز: الغزاة.

37
"آن لي أن أصرخ الآن
وأن أسقط عن صوتي قناع الكلمة: -
هذه زنزانة، يا سيدي، لا محكمة

وأنا الشاهد والقاضي، وأنت الهيئة المتهمة
فاترك المقعد، واذهب: أنت حر أنت حر
أيها القاضي السجين."

وحدهما المقصلة والسجن، مصير الثائرين، بعد الخيبة
لذا-ربما بكينا وقت احتفال الآخرين بالتنحي
رأينا القادم، أبكر،
سلّم الساقط سلطته لكلابه الذين لم يسقطوا بعد
بقي النظام، في أشرس صوره، فقط، لينتقم
مشهد سخيف لفرط تكراره
كتب التاريخ تضجّ بمثله في كلّ عصرٍ ومصر
لكن من مكمنه يؤتى الحذر
الثائر-أصلا-يقضي مع فشل ثورته (قتلاً أو كمداً)
والأسوأ حظا، ذلك الذي يبقى حياً بعد التعثّر (مصاباً، معتقلاً، أو مجرّد مهزوم)
تتجدد هزيمته، شخصياً، مع كل موقف انتقام أو خطاب تشفّ أو نهش في جثمان ثورته المسجاة.
يتحول لدائرة تصويب، تتلقى سهام الحقد والكراهية، سهماً سهماً
بثباتٍ يليق بالثورة، أو بانكسارٍ يناسب الخيبة
ربما يخفف ثقل الحال، ولو قليلا، أنّه كان مخير بين قطف ثمار القبول بالهزيمة
وبين التمسك بجمال المحال في مواجهة قبح الواقع
ولكلٍّ منهما نهاية على طرف نقيض من الأخرى

- تستوعبه الحظيرة الرسمية، مستخدما، نشطا، أو خاملاً بعد استخدامه.
- يستوعبه قبر أو قفص اتهام هو وما يحمل من أفكار، تطلعات، وثورة.

وخارج القفص، سيقف الخصوم، كلٌ في دوره، يتبارون في التنكيل، انتقاما من "الحادث" الذي هدّد مصالحهم، ووجودهم.
ربما لا يعنيهم شخصه الضئيل، بقدر هذه الثورة/الجريمة، التي يريدونها فوق الصليب، مثالاً رادعاً لكل من يخطر بباله القدوم على تكرار-مجرد-الحنين لتلك اللحظة.
وبقدر ما يعنيهم محوها من الذاكرة (تجاهلا ثم استنساخاً ركيكاً أو حتى تمييعاً وتفريغاً من كل مضمون، وقبل ذلك كله، ومعه، سحقها وصنّاعها.
وهو، في القفص، لم يزل
يثق في صبح طالما بشّر الناس به
ويحكي-صامتا-حكاية الاقتراب من الحلم إلى هذا الحد، واحتقار أرواح الناس -بعدها إلى هذا الحد.
وتتمثل به (كنهاً ومصيراً) ثورة، تُحاكَم لأنها قامت، وجمهور يجرّم تجمهره-بعيداً عمّا ارتكب على هامشه من حماقات.
هذا هو الحال
السيناريو-بقساوته ولا إنسانيته-يسير حرفياً، تحت سقف التوقّع
لا داع-مطلقاً- للاستغراب
اللهم إلا أن ينسى الناس 'فجأة' أو يتناسوا
"من" يحاكم "من"... و"لماذا" ؟
هذا هو السؤال.
٣٨

عابرٌ في حياة من أعرفهم
تذكّراً،فنسياناً
افتقاداً،ففقداً
لا نشيّد حكاية ،يمكن سردها
أو السير فيها،مع خطى الزمن،نحو القادم
تطوّراً،أو انهياراً
فقط مشاهد قصيرة...ماضويّة
سحائب صيف ،لا تدوم لتظلّل،ولا تمطر لتروي
فقط تعبرهم ،لحظةً،كطيف

فيبتسمون،ينزعجون،أو-حتى-لا يلتفتون
لولا قداسة اللحظة التي تشاركناها ،لابتلعني النسيان في قعر جبّه
لولا استحالة ما أدركنا سويّاً،لاستحال وجودي أصلاً.
أفتّش في خزينة الصور،عن لحظة عاديّة
فراراً،لا حنيناً
على مقهى،شاطيء. في حديقة،شرفة. عند صديق،قريب
ب مرقص،مطعم،مدرّج،مكتبة .
في شارعٍ عاديّ،حتى،كما يسير الآخرون ويتسكّعون
لا أثر ليَ هناك:وحدي أو معهم
لا أثر لتلك اللحظة العاديّة،حتى في ذاكرتي
وحدها"الواقعة"تجمعنا
عظيمة الحدوث،عظيمة التكسّر
وعظيمة الإلحاح على الذاكرة كذلك
رغم تضخّم مرويّة الكذبة/القتلة وتوحّشها
أعوّل(صموداً،وبقاءاً،ووجوداً) على التذكّر. ارتباطاً باللحظة المقدّسة .
أخشى النسيان(ناسياً أو منسيّاً)،أقاومه،أدفعه عنّي،كما أدفع الجدران
أخطر من السجن والسجّان على مثلي
يهددني صراحةً،ذلك المقيت
لكنّي-رغم ذلك-لا أرتاح لتحويلي حائط مبكى للرفاق
يذرفون الدمع،ويستعيدون الخسارة
أفضّل لو أكون مقلاعاً،حجراً،أو حتى شجرة
يتذكّرون تحت ظلّها لحظة أدركنا المحال؛فيبتسمون
ربما أبلغهم،في أول زيارة:أوقفوا نشر الملف الطبي
أوقفوا تقارير الزيارة
أوقفوا كل شيء،إلا ما يربطني بلحظتها
إذا قررت السلطة ترميزي سحقاً،لأفاجئهم صموداً
وإذا كان السجن يبتلع العمر -حاضراً ومستقبلاً
لِأكتفي إذاً بتلك اللحظة المقدّسة
إلى أن يحين موعد خلق غيرها
....
بمطلق القسر ،لم أنتصر
بتمام الإرادة،لن أستسلم .

٤٠
لستُ أسطورياً
وأواجه الأساطير يوميّاً. بلا أدوات للمواجهة،ولا نافذة للردّ
حشرني القدر بين خصمين فاجرين
لا يتورّعان عن شيء
حرفتهما ترديد الكذب،حتى يصدقه الناس . بخطّة"الزنّانة كسبانة"
لدى كليهما مرويّته ،آلته الإعلاميّة،وجمهرته الحمقى
واستهداف شخصي الضئيل،واحدٌ من أندر مواطن اتفاقهما
في السجن كنتُ،أو خارجه
في السلطة كانا،أو المقتلة
[لا أساوي بينهما-قطعاً-في حجم الجريمة،فجرائم السلطة بحقّهم والكلّ،لا تُضاهى
إنما في طاقة الكراهية ،الفجر،واحتراف الكذب]
كلاهما حاول قتلي ،أقدم عليه،ترك آثار اعتداءه،الذي أحبطته صدف قدريّة جعلتني الآن من الأحياء [تكفيراً،تخويناً،أو انتقاماً أعمى]

كلاهما لفّق ،زيّف،استخدم شهوده زوره ،ومقاضيبه الخصوصيين،ليضعني في السجن [..للأبد]
وكلاهما يُلقي-الآن- سهام كراهيته عليّ
سواء انطلقا من جريمة عمائيّة ارتكبتها قبل تكشّف الفاجعة
أو اختلقا الأسطورة بالكامل،من العدم .
وجّهت لكلٍّ منهما من الصفعات[المباشرة/المهينة] ما يكفل لي مستقرّاً دائماً كخصم
كانا في السلطة . كنتُ في الشارع
و"القلوب عند بعضها"
أضعهما في ذات الموضع،منذ جريمتهما المشتركة بحقّ الثورة
لم أكن شاهداً.كنت طرفاً[مزعجاً كما يبدو،جارحاً كما تكشّف]
هذا جزء من دوري الذي ارتضيته ،بكامل الوعي ،في حدود التورّط الأكبر
لا طمعاً في فخر ،ولا انتظاراً لدعم
لستُ راقصة تعرّ،تؤدي عرضها لجمهور ،بانتظار هِبات السكارى وصيحات الهائجين
هذا دور.مهمّة أعتقد بوجوبها في مواجهة كلّ سلطة[بلا استثناء]
أُعاقب ل الآن على انحيازات. تصريحات ومواقف فات عليها عقد كامل
لكنّ أثرها [الملهم عندي،المفزع لهم] لم يمحه تعاقب السنين ولا حتى دويّ السقوط .
يحوشني عن الخروج ل الآن كلمة . أقولها للخصوم فيشبع غرورهم الأغبى .
يلمؤني هذا طمأنينة ورضا. يريني قيمة ما . مهما ثقلت
....
عارٌ وحيد لحقني،وقت أفلت لجام الخصومة دون تبيّن
دون تفرقة بين الموقف من القاتل ،ومن المقتول[ولو كان قاتلاً سابقاً]
لا مجال للتبرّؤ:فقد حدثت الفضيحة على الهواء . وقت كان الطريق للسماء مزدحماً بأرواح الصاعدين
لا مجال للتبرير:عدم تكشّف حجم الفاجعة-عزلة الاستوديو-وواح.يّة المصدر .... ليست سبباً
روحٌ واحدة لها جلال ينسف كل مبرّر
ولو سبقوا الكل في تبرير مذابح غيرهم
التقطتُ العدوى منهم،ورددتها إليهم
ودوري-أصلاً-رفضها ،وخلق مسار إنساني يقدّم حياة الإنسان[أي إنسان[على أي قيمة أخرى.مهما عظمت .
.....
لولا أنني أُحضرت ل هنا قسراً،لهلكت
حمتني تلك الظلومة من الإنزلاق أسفل
خدمني السجّان للمرة الألف
لا عن الحريّة حبستني الجدران،إنما عن التمادي في الخطيّة
"......وربّما منعك ليعطيك"
مدينٌ لهذه التجربة بالكثير. الكثير جداً.